من كتابات الآباء الأولين



عظتان عن الإيمان

للقديس باسيليوس الكبير

2018

ترجمة

دكتور سامح فاروق حنين

أستاذ اللغة البيزنطية (اليونانية القديمة)

Dept. of Classical Studies,
Faculty of Arts - Cairo University

مراجعة و تقديم

القمص تادرس يعقوب ملطي

من كتابات الآباء الأولين

عظتان عن الإيمان

للقديس باسيليوس الكبير[1]

2018

ترجمة

دكتور سامح فاروق حنين

أستاذ اللغة البيزنطية (اليونانية القديمة)

Dept. of Classical Studies,
Faculty of Arts - Cairo University

1 منسوبتان للقديس باسيليوس الكبير.

باسم الآب والابن والروح القدس

الله الواحد، آمين

اسم الكتاب : عظتان عن الايمان للقديس باسيليوس الكبير

ترجمة : د / سامح فاروق حنين

الطبعة : ٢٠١٨

الناشر : كنيسة الشهيد ماجرجس - اسبورتنج

كنيسة الملكة القديسة مريم والامير تادرس بساوث برانزويك

المطبعة : American Pack

Cairo - Egypt +2001271222700

US Branch +17326755557



قداسة البابا المعظم

الأنبا تواضروس الثانى

(١١٨)

منهج الحديث عن الإيمان

تهتم مجموعة من المؤمنين (تحت شعار بترا) بتشغيل مواهبهم وتشجيع كل من يود المساهمة بفكرٍ إيجابي لترجمة ونشر كتابات الآباء الأولين لبنيان ملكوت الله والتمتع بعمل الله الفائق. وهم يشكرون الأستاذ الدكتور سامح فاروق أستاذ اللغة البيزنطية (اليونانية القديمة) بجامعة القاهرة لترجمته العظتين اللتين ألقاهما القديس باسيليوس الكبير بروح التقوى والبساطة مع العمق الروحي وإبراز دور الأقانيم الثلاثة في حياة البشرية كما في حياة كل مؤمنٍ حقيقيٍ بصفةٍ شخصية.

تكشف لنا العظة الأولى للقديس باسيليوس[1] عن **منهج آباء الكنيسة في الحديث عن الإيمان.**

أولاً: لا يخجل القديس باسيليوس من اعترافه بضعفه البشري عن الحديث في الإلهيات. وعندما طُلب منه أن يسجل لهم حديثًا عن الإيمان القويم صار مترددًا في البداية. لكنه عاد فشعر بالتزامه أن يحقق لهم طلبتهم للأسباب الآتية:

1. أنهم طلبوا ذلك بروح التقوى مع محبتهم لله، وليس رغبة في نقاشٍ جدليٍ جاف [1].
2. إذ شعر بضعفه اقتدى بالرسل الذين حسبوا أنهم ليسوا كفاة أو أهلاً لهذا العمل، لكنهم دُعوا لخدمة العهد الجديد، خدمة الروح لا الحرف والجدال النظري، بهذا صارت كفايتهم من الله (2 كو 3: 5-6).
3. شعر القديس باسيليوس أنه ملتزم بذلك لدرء خطر الهراطقة الذين يفسدون الإيمان المستقيم.

ثانيًا: يشتاق أن يقدم كل حديثه من الأسفار المقدسة بأمانة، لكنه يشعر بضرورة استخدام بعض التعبيرات اليونانية الفلسفية المتناغمة مع الكتاب المقدس، وذلك للرد على الهراطقة بلغتهم وأسلوبهم.

ثالثًا: إن كان السيد المسيح المُذخّر فيه جميع كنوز الحكمة والعلم (كو 2: 3) يقول: كما قال لي الآب هكذا أتكلم (يو 12: 50)، فكم يليق بنا نحن بالأكثر ألا نتكلم من ذواتنا، بل مما يقدمه لنا السيد المسيح بروحه القدوس؟!

رابعًا: يتحاشى القديس باسيليوس تمامًا كلمات لم يستخدمها الآباء القديسون، لكونها غريبة وغير مناسبة للإيمان المستقيم [2].

خامسًا: يبرز القديس أن للحديث عن الإيمان ثلاثة مستويات، وفي كل مستوى يفرح وُيسر لنواله

---

[1] عظتان عن الإيمان للقديس باسيليوس الكبير، ترجمة الدكتور سامح فاروق سليمان، عن اليونانية القديمة. هذه العظة التي تحمل رقم 14 "عن الإيمان" تُنسب للقديس باسيليوس وقد نشرها الأستاذ *J. Gribomont* عام 1953 في جامعة لوفان ببلجيكا ضمن مجموعة نصوص للقديس باسيليوس النسكية[1].

المعرفة منطلقًا نحو المستوى التالي:

1. مستوى الفكر الطفولي (1 كو 13: 11 الخ) الذي قدمه العهد القديم لشعب إسرائيل القديم.
2. مستوى النضوج، يقدمه العهد الجديد بعمل الروح القدس بعد أن قدم المخلص الفداء على الصليب ووهبنا الحياة المقامة، لينطلق بنا إلى السماويات.
3. مستوى المعرفة الكاملة ننالە في الدهر الآتي.

اللقاء مع الله والتعرّف عليه

في العظة الثانية يدعونا القديس باسيليوس ألا نتسرع وندخل في مجادلات باطلة عن اللاهوتيات، بل نصمت وتأمل، فيعلن الله لنا ذاته قدر ما نحتمل، فنزداد تواضعًا واشتياقًا للنمو في المعرفة.

لقد تراءى الله لإبراهيم أب الآباء ولموسى العظيم في الأنبياء، فازداد الاثنان تواضعًا، أدرك الأول أنه تراب ورماد (تك 18: 27)، وقال الثاني إنه ثقيل اللسان (خر 4: 10).

وحدانية الثالوث القدوس (في الجوهر)

يوضح القديس باسيليوس الآتي:

1. **الابن** هو الكلمة الأزلي، وكل ما للآب هو للابن (يو 16: 15). إنه الابن الوحيد، لم يُخلق بأمر، بل يشعّ كنورٍ من الجوهر لا يتوقف. تجسده وتأنسه لم يقلل من مجده.
2. **الروح القدس:** له كل ما للآب والابن بالطبيعة، وهم متحدون في الصلاح والاستقامة والتقديس والحياة.
3. الروح القدس يعمل في كل الخليقة، ويمنح الكل نعمته دون أن تُستهلك أو ينقص شيئًا.
4. الروح القدس كالشمس ينير الجميع بمعرفة الله. فقد كان بولس مريضًا وبحضور الروح القدس كانت مناديله وعصائبه تشفي المرضى.

وكان بطرس مُحاطًا بضعف الجسد، وبنعمة الروح القدس الساكن فيه كان يشفي المعذّبين من الأرواح الشريرة.

لم يكن لبطرس ويوحنا ذهب وفضة، لكنهما منحا الأعرج الشفاء الأثمن من الذهب.

القمص تادرس يعقوب ملطي

مقدمة المترجم

بظهورِ بدعةِ آريوسَ الذي زعم أن الإبنَ مخلوقٌ، وأنه أسمى من كل المخلوقات لأنه هو خالقها وربها، اِنعقد مجمع نيقية في عام 325 م. حيث برز القديس أثناسيوس واستطاع بقوة منطقه وغيرته المتقدة ومعه الأبطال الكبادوكيون الثلاثة: القديسون غريغوريوس النزينزي المعروف باللاهوتي وغريغوريوس النيسي وباسيليوس الكبير، أن يدحضَ هذه الهرطقة وأَقَرَّ المجمعُ العقيدةَ الصحيحةَ: "نؤمن بإلهٍ واحد الآبِ ضابطِ الكلِ خالقِ كل الأشياء ما يُرَى وما لا يُرَ،ى وبربٍ واحدٍ يسوعَ المسيحِ اِبنِ اللهِ المولودِ من الآبِ، المولودِ الوحيدِ من الآبِ، إلهٍ من إلهٍ، نورٍ من نورٍ، مساوٍ للآبِ في الجوهرِ الذي به كان كلُ شيء في السماءِ وعلى الأرضِ، الذي من أجلنا نحنُ البشرَ ومن أجلِ خلاصنا نزل وتجسد وتأنس وتألم وقام أيضًا في اليوم الثالث وصعد إلى السماء، وسيأتي ليدينَ الأحياءَ والأمواتِ وبالروح القدس الخ". وقد قبلت الكنيسةُ هذه الصيغة وبعد نحو قرن من مجمع نيقية أصبح هو القانون الفعلي للكنيسة إلى هذا اليوم.

كما أن آريوس أنكر صراحةً ألوهية الإبن وقال إنه قابل للتغيير، وإنه أقل من الآب ومخلوق، ومن طبيعة غير طبيعة الآب وقد جرت مناقشة أريوس في أكثر من مجمع في الإسكندرية ولم يُحكم عليه إلاَّ بعد أن قال صراحةً: كان هناك زمان لم يكن فيه الإبن موجودً. وهي عبارة تعني أن الإبن مخلوق. وفي مرحلة تالية، تغيرت التعبيرات اللاهوتية وكان تعبير آريوس الواضح "أن الإبنَ مشابه للآب"، بمثابة تضليل للآباء. وبالتالي كانت عبارة "الواحد مع الآب في الجوهر" ὁμοούσιος، هي الإختبار الوحيد الذي يكشف عن صدق إيمان المتحدث أو زيفه.

فالواحد مع الآب في الجوهر تعني:

- عدم وجود فاصل زمني بين الآب والإبن.
- إن صفات الآب هي صفات الإبن.
- إن ألوهية الآب هي ذاتها ألوهية الإبن.

هذه النقاط الثلاث لم يقبلها أريوس.

كان على الكنيسة أن تعالج موضوع الهرطقات[1] منذ عصورها الأولى، فقد بدأ الخطأ يتسلل إلى

[1] هناك رأيٌ أنه يوجد فرق بين البدعة والهرطقة، وأن البدعة أخفُ وطأةً من الهرطقة، إذ البدعة تعني الإتيانِ بشيءٍ مُحْدَثٍ في الدين أو في العقيدة لم يَكن مألوفًا من قَبْل، أما الهرطقة فتتضمن نوعًا من الانحراف عن التعليم الصحيح والتعارض مع الرأي القويم والتجديف على الله تبارك اسمه. ولكن الأمر ليس كذلك. لأن الكلمتَيْن لهما معنى واحدٌ والفارقُ البسيطُ بينهما هو أن "البدعة" كلمةٌ عربيةُ الأصلِ من الفعل "اِبْتَدَعَ"، أيّ أنشأ رأيًا مُحْدَثًا، أما كلمة "هرطقة" فهي صفة

الكنيسة عندما نمت، فقد حاولت الأعداد المتزايدة ممن اِعتنقوا المسيحية، أن يفهموا الإيمان المسيحي وأن يحسنوا التعبير عنه، ولقد كان لزامًا على الكنيسة أن تشجب الأخطاء التي تَمَسَّك بها أصحابُها في عنادٍ وتحدٍّ وقد أدى ذلك إلى صياغة العقيدة القويمة، لأن المدافعين عن الإيمان شجبوا هذه الأخطاء وأعلنوا الحق بدقةٍ ووضوحٍ، أو بالحري بَيَّنوا حدود التعليم الصحيح. وعندما شجبت الكنيسة الهرطقات المختلفة مثل الغنوسية والمونتانية والماركونية والأريوسية وغيرها، كانت مضطرةً إلى إيضاح التعليم الصحيح المختص بالثالوث القدوس وبوضع العقيدة في عبارات محددة ليكون ذلك سبيلاً لتصويب الخطأ.

هذا ما فعله القديس باسيليوس في هاتين العظتين، إذ يدحضُ فكرَ الآريوسيين الذين اِدعوا أن المسيح مخلوقٌ وليس "الله"، وأنه مجرد صدور مخلوقٍ من الله. ولكن المعنى الصحيح، هو أن المسيح هو الله بالحقيقة، له الأولوية والسيادة فوق كل خليقة ويدلل على ذلك القديس باسيليوس في العظة الأولى بأن المسيح هو ذاته خالق كل الأشياء، وهو قبل كل شيءٍ، فهو كائن منذ الأزل قبل أن توجد كل الخليقة، كما أنه يسود عليها. هنا يشرح القديس باسيليوس معنى "الإيمان" بأنه قبول لكل ما سُمع به وما بُشر به... ويؤكد القديس باسيليوس "لاهوت المسيح" في مواضع كثيرة من العظتين حيث يقول في العظة الأولى: "إن المسيح هو خالق الحياة ورئيسها"، كما يقول الرب نفسه.

يعلن الكتاب المقدس بكل جلاءٍ أن الروح القدس أقنومٌ في اللاهوت وليس كائنًا مخلوقًا أسمى من الملائكة، أو أقل من الاِبن، كما زعم آريوس ولكنه واحدٌ مع الآب ومع الاِبن وإن كان متميزًا عنهما. وكان للروح القدس دوره في الخليقة وفي حفظها وبخاصة في الخلائق التي فيها نسمة حياة وله دوره في الفداء، فهو الذي أوحى للأنبياء عن مجيء المخلص، وحلّ على التلاميذ في يوم الخمسين، وجعل من المؤمنين كنيسة واحدة جامعة، وهو الذي يمنحها القوة لتشهد للمسيح، وهو الذي يرشدها

يونانية الأصل (αἱρετικός) أو (هايريتيكوس) والاسم منها "هايريسيس" (αἵρεσις) المشتق من الفعل "هايريو" (αἱρέω) بمعنى "يأخذ أو يختار أو يفضل" ومن الصفة (αἱρετικός) "هايريتيكوس" جاءت الكلمتان "هرطقة وهرطوقي" وقد عُرِّبَتا ودخلتا إلى اللغة العربية ككثير من الكلمات اليونانية. فكل الأمر هو أن البعض يستخدم الكلمات العربية (بدعة ومبتدع) والبعض الآخر يستخدم الكلمات اليونانية مُعَرَّبَةً (هَرْطَقَة وهَرْطُوقي). فكلمة "بدعة" إذن ما هي إلا ترجمة للكلمة اليونانية. ولم يكن معنى "الهرطقة" معروفًا في الكتابات اليونانية الكلاسيكية ولكن بدايةً من العصر المسيحي صار لها المعنى المشار إليه بعاليه وفي العهد الجديد اسْتُخْدِمَتْ الكلمةُ بعددٍ من المعاني، فهي قد تدلُ على "مدرسة فلسفية" أو "مذهب ديني"، وتُتَرْجَمُ نفسُ الكلمة اليونانية في بعض المواضع في العهد الجديد بكلمتي "مذهب أو شيعة" كما قيل عن الصدوقيين "شيعة الصدوقيين" (أع 5: 17) و"مذهب الفريسيين" (أع 15: 5؛ 26: 5). كما أنهم قالوا عن الرسول بولس بلهجة الاحتقار: "مقدام شيعة الناصريين" (أع 24: 5).

إلى كل الحق، ويجدد قلب الإنسان الذي يؤمن بالمسيح ويسكن فيه جاعلاً منه هيكلاً له، ومطهرًا إياه، وهو الذي يعينه في صراعه ضد الجسد والعالم والشيطان كما يقوده في العبادة وفي الصلاة.

هذه العظة التي تحمل رقم 14 "عن الإيمان" تُنسب للقديس باسيليوس وقد نشرها الأستاذ J. Gribomont عام 1953 في جامعة لوفان ببلجيكا ضمن مجموعة نصوص للقديس باسيليوس النسكية[1].

دكتور سامح فاروق

[2] *Sermon 14 (De fide) [Sp.], ed. J. Gribomont, Histoire du texte des ascitiques de S. Basile [Bibliothèque du Muséon 32, Louvain : Université de Louvain, 1953], pp. 314-316.*

1

عظة عن الإيمان

الحديث عن الإيمان بروح التقوى والحب

1. عندما تأكدتُ، أيها الإخوة، بنعمة الله الصالح، **أنكم طلبتم بتقواكم ومحبتكم نحو الله في المسيح وثيقةَ اِعترافٍ عن الإيمان القويم**، أصارحُكم القولَ إنني في البداية ترددتُ، لأنني أعرفُ حقارتي وضعفي. ولكن عندما خطر بذهني قولُ القديس بولس الرسول: "محتملين بعضكم بعضًا في المحبة" (أف 4:2)، وأيضًا: "لأن القلب يُؤمَن به للبرّ والفم يُعترَف به للخلاص" (رومية 10:10)، رأيتُ أنه من الخطورة بمكانٍ أن أرفضَ طلبكم أو ألتزمَ الصمتَ، خصوصًا أنه يتعلق بالإيمان المُخَلِّص، لأن لي ثقةً في الله بالمسيح، كما يقول الكتاب، "ليس أننا كفاةٌ من أنفسنا أن نفتكر شيئًا كأنه من أنفسنا بل كفايتنا من الله" (2 كو 5:3) والذي جعل حينذاك الرسلَ أهلاً (كفاة) يجعلنا نحن أيضًا الآن (كفاةً) لأجلكم، حتى نصيرَ خدامَ العهد الجديد، ليس خدامَ الحرفِ بل الروحِ "الذي جعلنا كفاةً لأن نكون خدامَ عهدٍ جديدٍ لا الحرفِ بل الروحِ، لأن الحرفَ يقتل ولكن الروحَ يحيي" (2 كو 6:3) **وأنتم أنفسُكم تعرفون جيدًا أن علامة المؤمن الأمين هي أن يحفظَ ما قد عَهَدَ به إليه الربُّ الصالحُ لأجل نفعِ العبيدِ رفقائه، بلا غشٍ ولا خداعٍ.** وهكذا أنا أيضا يجب عليَّ أن أعرضَ لكم، كما يرضي الله ولأجل المنفعة العامة، ما تعلمتُهُ من الكتب المقدسة.

إن كان المسيحُ نفسُه، "المُذَّخَرُ فيه جميعُ كنوزِ الحكمةِ والعلمِ" (كو 3:2)، الذي أعلن له الآبُ محبته وأخذ من الآبِ كلَ سلطانٍ وكلَ قوةٍ للدينونة (أن يدين)، كما يقول هو نفسه: "لأني لم أتكلم من نفسي، لكن الآب الذي أرسلني هو أعطاني وصيةً ماذا أقول وبماذا أتكلم وأنا أعلم أن وصيته هي حياة أبدية، فما أتكلم أنا به فكما قال لي الآب هكذا أتكلم" (يو 12: 49-50) وإن كان الروحُ القدسُ لا يتكلم من ذاته، بل ما يسمعه من الآبِ يتكلم به، فمن التقوى والأمان أن نفتكر ونتكلم باسم ربنا يسوع المسيح.

أنتم تعرفون، أيها الإخوة، أنني عندما كنتُ أصارعُ ضد الهرطقاتِ التي كانت تظهرُ بين الحين والآخر، كنت أعتقد أن ما يصلحُ لدرءِ خطرِ هذه الهرطقاتِ التي يزرعها الشيطانُ ومنعُ اِنتشارها وذلك خلال معارضتِها أو منعُ التجاديف الدخيلة التي تحتويها هذه الهرطقاتِ، أحيانًا كنت أواجهها بطرقٍ أخرى حسبما تقتضي الحاجة، وأحيانًا بأقوالٍ لم تَرِدْ في الكتب المقدسة، رغم أنها ليست غريبةً عن روحها التقوية. ولا عجب في ذلك لأن الرسولَ بولسَ نفسَه لم يَرَ غضاضةً في اِستخدام عباراتٍ

يونانية لأجل إتمام هدفه[1].

الآن، أيها الإخوة، لأجل إتمام هدفنا المُشْتَرَك، رأيتُ أنه من الواجب أن أعرضَ لكم ما تلقنته من الكتب المقدسة المُوحَى بها من الله وهكذا أُكَمِّلُ، **بِبساطةِ الإيمان الصحيحِ، طلبَكم النابعَ من محبتكم نحو المسيح.** سوف أستخدم بتصرفٍ الأسماءَ والكلماتِ التي لا تَرِدُ حرفيًا في الكتب المقدسة[2] ولكنها تحمل نفس المعاني الموجودة فيها[3]. فأيّةُ كلماتٍ، حتى وإن كانت غريبةً، فإنها تُقَدِّمُ معانٍ غيرَ

---

[1] رغم أن أولَ معارضةٍ للروح الهيلينية نجدها عند القديس بولس الرسول القائلِ عن الفلسفة اليونانية إنها جهالة: "ألم يُجَهِّلُ اللهُ حكمةَ هذا العالم؟ لأنه إذ كان العالمُ في حكمة الله لم يَعْرِفْ اللهَ بالحكمة اِستحسن اللهُ أن يخلص المؤمنين بجهالة الكرازة. لأن اليهودَ يسألون آيةً واليونانيون يطلبون حكمةً" (1 كو 1: 20-22) وأيضا "حكمةُ هذا العالم (الفلسفات عامةً والفلسفة اليونانية بخاصةٍ) هي جهالةٌ عند الله" (1 كو 3: 19)، إلا أن الدارس لأسلوبِ القديس بولس في الكتابة يجد أن أقوالَه وأساليبَ تعبيرِه لها جذوُرها العميقة في أفكارٍ وتعبيراتٍ يونانية. فبولس الرسول، دونَ جميعِ كُتَّابِ العهد الجديد، يُعَدُّ الوحيدَ الذي اِستطاع أن يطوِّعَ اللغة اليونانية ويستخدمَها في شرح الحق المسيحي مع وجودِ أثرٍ عميقٍ للفلسفةِ اليونانيةِ في تفكيره وهو الوحيدُ كذلك الذي اِستشهد بالكتاب اليونانيين القدامى.

[2] كان الأساقفة الأرثوذكس المحافظون، بعد مجمع نيقية عام 325، يتحفظون على إدخالِ كلماتٍ لم تَرِدْ في الكتب المقدسة إلى نَصِّ "قانون الإيمان" وذلك مثل الصفة "هوموأوسيوس" "ὁμοούσιος" والتي تُترجم في الإنجليزية هكذا: " of the same substance with God" أو "with the Father one in being" أيّ "مُسَاوٍ للآب في الجوهر والطبيعة"، انظر في ذلك:

Encyclopaedia of Religion, Macmillan Reference USA 2005, 2nd ed. vol. 14, p. 9361.

جدير بالذكر أن كثير من الفلاسفة اليونانيين القدماء مثل بورفيريوس في "عن التقشف" وأفلوطين في "التاسوعات" قد اِستخدموا مصطلح "هوموأوسيوس" في كتاباتهم الفلسفية. وقد تُرجمت في "التاسوعات" لأفلوطين إلى اللغة الانجليزية هكذا: "of one identical substance". انْظر:

Plotinus, Enneads, Loeb Classical Library, vol. iv, Ennead iv 1984/2nd, Ser. no. 443, p.

فالمساواة هنا يقصد بها الوحدانية مع الآب في الجوهر. انْظر: شرح وتفسير قانون الإيمان، المتنيح القمص عبد المسيح ثاوفيلس النخيلي، القاهرة 2007، ص 49. وهنا يرى القديس باسيليوس أنه مِنْ الضروري إدخالُ مثل هذه المصطلحاتِ اليونانيةِ لأهميتها ولكنه يُصِرُّ على اِستخدامِ كلماتٍ من الكتب المقدسة تحاشيًا لسوء الفهم. عن مصطلح الـ"هوموأوسيوس" وتاريخه انْظر: الدولة والكنيسة (الجزء الرابع: المسيحية الجديدة)، رأفت عبد الحميد، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة 1999، ص 14، 15، 16، 49، 50، 62، 63، 85ا وانْظر كذلك الأنبا غريغوريوس: تاريخ الفكر الديني المسيحي "ما بين الإسكندرية وروما وبيزنطة"، منشورات أسقفية الدراسات اللاهوتية العليا والثقافة القبطية والبحث العلمي، سلسلة المباحث اللاهوتية والعقائدية 13، القاهرة 1974، ص 6، 7.

[3] يقصد القديس باسيليوس هنا أن بعض المصطلحات اليونانية وإن كانت لم تَرِدْ في الكتب المقدسة إلا أنها تؤدي نفس المعنى المراد التعبير عنه، فمصطلح الـ"هوموأوسيوس"، على سبيل المثال وإن كان لم يَرِدْ في الكتب المقدسة إلا أنه نافعٌ لشرحِ علاقةِ الإبنِ بالآبِ من حيث إنه، أيِّ الإبنُ، "مُسَاوٍ للآبِ في الجوهر والطبيعة". نفس الشيء ينطبق على

معروفةٍ لنا ولذا سوف أتحاشى تمامًا أية كلماتٍ لم يستخدمها الآباءُ القديسون كغريبةٍ أو غيرِ مناسبةٍ للإيمان المستقيم.

فالإيمان هو قبولٌ بدون ترددٍ لما سمعنا وثقةٌ كاملةٌ في حقيقة ما كُرِزَ به لنا بنعمة الله. هذا الإيمان أظهره إبراهيم الذي "إذ لم يكن ضعيفًا في الإيمان لم يعتبر جسده وهو قد صار مماتًا إذ كان ابنَ نحو مئةِ سنةٍ ولا مماتية مستودع سارة ولا بعدم إيمان ارتاب في وعد الله بل تقوى بالإيمان معطيًا مجدًا لله وتيقن أن ما وَعَدَ به هو قادرٌ أن يفعله أيضًا لذلك أيضًا حُسِبَ له برًا" (رو 4: 20-21)، فأنْ يهملَ أحدٌ شيئًا مما هو مكتوبٌ أو يضيفَ إليه شيئًا مما لم يكتب يُعَد نقصًا للإيمان ودليلاً على الكبرياء، لأن ربنا يسوع المسيح نفسه قال: "خرافي تسمعُ صوتي وأما الغريبُ فلا تتبعه بل تهربُ منه لأنها لا تعرفُ صوتَ الغرباء" (يو 10: 27، 5). والرسول بولس منع منعًا قاطعًا (بشدة) أن يضيفَ أحدٌ شيئًا إلى الكتب المقدسة المُوحَى بها من الله أو أن يحذفَ منها قائلاً: "أيها الإخوة بحسب الإنسان أقول ليس أحد يبطل عهدًا قد تَمَكَّنَ ولو من إنسان أو يزيد عليه" (غلا 3: 15).

مواجهة الهراطقة بأسلوبهم

2. رأينا إذًا كيف يجب أن نتحاشى كلَ قولٍ وفكرٍ غريبٍ عن تعاليم الرب إذ أن هدفنَا جميعًا، كما سبق وقلتُ، يختلف كثيرًا عن آراء الهراطقة، الذين بسببهم بدأنا نكتب ونتكلم بطريقةٍ أخرى. فإن كانت محاولاتُنا حينذاك قد اتجهتْ إلى تفنيدِ الهرطقاتِ وإعاقةِ خططِ إبليسَ، فإن هدفنَا الآن هو الاعترافُ البسيطُ وكشفُ حقيقةِ الإيمان الصحيح. لأن طريقةً واحدةً لا تناسب هدفنا (الذي نصبو إليه). لأنه كما أن المحاربَ والفلاحَ لا يمسكانِ في أيديهم نفسَ الأدواتِ (إذ أن أدوات الحُرَّاث تختلف عن أدوات المحاربين الذين يخوضون المعارك)، هكذا بنفس الطريقة لا يستطيع شارحُ الإيمان الصحيحِ أن يقولَ نفس الأمور التي يقولها مُفَنِّدُ الهرطقات. **فأقوالُ تفنيدِ الهرطقات تختلفُ عن أقوال الحثِ على الإيمان وبساطةُ المعترفين بالإيمان في سلامٍ تختلفُ عن عملِ الذين يكدون في تفنيد آراءِ الهرطقات الكاذبة.** ونحن أيضًا سوف نعرضُ لكم أقوالَنا بنفس هذه الطريقة بحذرٍ، مستخدمين في كلِ الحالات لغةً مناسبةً سواءً في الدفاعِ عن الإيمان أو في تثبيتِ هذا الإيمان وفى بعض الأحيان سوف نقفُ بحزمٍ شديدٍ ضد مَنْ يريدون أن يقلبوا إيماننا بخططٍ شيطانية وسوف نشرحُ هذا الإيمان ببساطةٍ ولياقةٍ لفائدة مَنْ يريد أن ينمو في الإيمان ولن نعملَ أكثر من قول الرسول بولس: "ليكن كلامُكم كلَ حينٍ بنعمة مُصْلَحًا بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد" (كو 4:6).

مصطلح "ثيؤطوكوس"، الذي في أصله مصطلحٌ يوناني (وثني) كان يُطْلَقُ على أيِّ أمٍ لأيِّ إلهٍ من آلهة اليونانيين القدماء، والذي وإن كان لم يَرِدْ في أيٍّ من الكتب المقدسة إلا أنه يوضح علاقة العذراء بالمسيح أنها "والدة الإله".

وقبل أن نشرعَ في شرح اعتراف إيماننا، يجدر بنا أن نشير أولاً إلى أن **عظمة الله لا يمكن أن تُحَدَّ في كلماتٍ أو تحيط بها العقولُ، ولا يمكن أن تُشرحَ ولا أن تُدْركَ بعبارةٍ أو بفكرةٍ، ولكن الكتب المقدسة المُوحَى بها من الله، قَدَّمَتْ لأنقياءِ القلوبِ، بالكادِ وبتعبيراتٍ مأخوذةٍ من الاِستخدام اليومي، فكرةً مُبسطة عن الله، كما في مرآةٍ.** لأن رؤية الله وجهًا لوجه والمعرفةَ الكاملةَ سينالُهَا، طبقًا للوعد الإلهي القائم، في الدهر الآتي المستَحِقونَ لها "طوبى لأنقياء القلب لأنهم يعاينون الله" (مت 5: 8). فإن كان لا أحدَ الآن في منزلةِ بولس ولا بطرس ولكنه يرى بالحقيقة ما يمكن أن يحتملَ رؤيتَه ولا يضلُ ولا يقعُ فريسة لتخيلاته ولكنه ينظرُ كما ينظرُ أحدٌ في ضبابٍ أو مرآةٍ ويقبلُ بفرحٍ جزءًا من الحقيقة، فمثل هذا ينتظرُ بفرحٍ أعظمَ الحقيقةَ الكاملةَ في الدهر الآتي.

هذا ما يؤكده لنا الرسولُ بولس القائل: "لما كنت طفلاً، كطفلٍ كنت أتكلم، وكطفلٍ كنت أفطن، وكطفلٍ كنت أفتكر، ولكن لما صرت رجلاً أبطلت ما للطفل" (1 كو 13: 11). وأنا، أيها الإخوة، بما لي من تقدمٍ كبيرٍ في فهم الكتب المقدسة استطعت أن أُمَيِّزَ بين المعرفةِ المشارِ إليها في العبادةِ اليهودية أنها تشبه حركاتِ الروح الطفولية وبين المعرفةِ المكتسبةِ من الإنجيل المقدس أنها تشبه رجلاً كاملاً في كلِ شيءٍ. وحتى هذه المعرفة المكتسبة من الإنجيل والتي ننظر إليها الآن كرجلٍ كاملٍ، إذا ما قورنت بالمعرفة التي سوف تُكْشَف لمستحقيها في الدهر الآتي، فإنها ستبدو صغيرةً وباهتةً، تمامًا كما يبدو الشكلُ الذي يظهرُ في المرآةِ باهتًا إذا ما قورن بالوجه الحقيقي. وهذا ما يؤكده الرسولان بطرس ويوحنا وتلاميذُ أُخَرُ للرب، الذين من خلالِ تقدمهم الروحي المستمرِ أدركوا أن **المعرفةَ المحفوظة للدهر الآتي معرفةٌ فائقةٌ مثل النظرِ في المرآة والوجهِ الحقيقي.** هؤلاء، بعدما اِستحقوا أن يكونوا تلاميذَ للرب واِستحقوا كذلك العشرةَ معه والإرساليةَ منه وقبولَ مواهبَ الروحِ القدس وسمعوا أنه: "أُعطِيَ لكم أن تعرفوا أسرارَ ملكوت السماوات" (مت 13: 11)، بعد كل هذه المعرفةِ وكشفِ الأسرارِ التي كانت خفيةً عن الآخرين، عند اِقترابِ آلام الربِ سمعوه يقول لهم: "إن لي أمورًا كثيرةً أيضًا لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن" (يو 16: 12).

النمو في المعرفة

3. مِنْ هذه الأقوال ومِنْ غيرها نعلم من الكتب المقدسة المُوحَى بها من الله أن **معرفة الله غيرُ محدودةٍ وأن أسرارَه الإلهية غيرُ متاحةٍ للطبيعة البشرية هنا في هذه الحياة، لأنَّه كلما تقدمَ الإنسانُ في المعرفة (العالمية، البشرية) أدركَ أكثرَ فأكثرَ أشياءَ أخرى**، أما معرفته لله فتظل تتراجع أمام كلِ معرفةٍ أخرى، حتى تأتي النهايةُ عندما ينتهي ما هو بعض، "ولكن متى جاءَ الكاملُ فحينئذٍ يبطل ما هو بعض" (1 كو 13: 10). فليس ثمة اسم كافٍ لإيضاح كل صفاتِ الله. لأنه عندما

يقول أحد: "الله"، فإنه لا يتضح "الآب"، أما عندما يقول: "الآب" فإن الكلمة "آب" تحمل فكرة (تُفْهَمُ على أنها) "الخالق". وهكذا من هذه الأسماءِ (الصفات) لا تتضح معاني الصلاحِ والحكمةِ والقوةِ وكلُ ما يشير إلى صفاتِ اللهِ في الكتب المقدسة. فإذا فهمنا "الآب" حسب اِستخدامنا نحنُ لهذه الكلمة الآن فسنكون بهذا نُجَدِّفُ على الله، لأن هذا الفهمَ يتضمنُ آلاما وشهواتٍ جسدية وجهلاً وضعفًا وما شابه ذلك. نفس المعنى تُفْهم به أيضا كلمة "خالق"، لأنها تتضمن معنى زمنٍ وموادٍ وآلات وتقديمِ عونٍ، الأمورُ التي يجب أن ينأى عنها الإنسانُ قدرَ المستطاعِ في إيمانهِ الصحيح عن الله. لأنه لو اِجتمعت كلُ الأفكارِ معًا لتستكشفَ الأسرارَ الإلهيةَ ولو اِتفقت كلُ اللغاتِ معًا من أجل أن تُعْلِنَ كُنْه هذه الأسرارَ، فلن يستطيعَ أحدٌ أن يَسْبِرَ غَوْرَهَا. هذا ما يؤكده بوضوحِ الحكيمُ سليمان الذي قال:"**كل هذا اِمتحنته بالحكمةِ، قلت أكون حكيمًا، أما هي فبعيدةٌ عني، بعيد ما كان بعيدًا**" **(الجامعة 7: 23-24)**. ليس معنى هذا أن الحكمة تمضي، بل أن مستوراتِها تُكْشَفُ أولاً لمَنْ، بنعمة الله، اِقتنوا معرفةً أكثر. فالكتبُ المقدسة المُوحَى بها من الله تَسْتَخْدِمُ، للضرورة، كلماتٍ وأسماءَ لتوضحَ ولو جزءًا من المجد الإلهي السري (المبهم). ونحن الآن، ليس لدينا من الوقت ولا الجهد الذي يجعلنا قادرين (نظرا لضيق الوقت ولعدم قدرتنا) على جمع كل ما يتعلق بالآب والابن والروح القدس في الكتب المقدسة. فلو اِستطعنا أن نعرضَ قليلاً مِنْ هذا الكثير، فهذا سيكون كافٍ لأنَ يكشفَ لضميركم أن إيماننَا يستندُ على الكتب المقدسة، ولكي يقنعكم أنتم أنفسَكم بالحق ولكي يُقْنِعَ كلَ مَنْ يريد أن يُخْبَرَ عنها. لأنه كما أن الأدلة الكثيرة تُثْبِتُ أن واحدًا هو التعليمُ الصحيحُ، هكذا كلُ مَنْ كانت له نيةٌ صادقةٌ سوف يعرف من الأمثلةِ القليلةِ التقوىَ الكائنةَ فيها.

اللهِ الآبِ ضابطِ الكل والابن الوحيد خالق الكل

4. نعترفُ إذن ونؤمنُ بإلهٍ واحدٍ وحيدٍ، حقيقي وصالحٍ، اللهِ الآبِ ضابطِ الكل، خالقِ جميع الأشياء، أبِ ربنا وإلهنا يسوع المسيح. ونؤمن باِبنِه الوحيد، ربنا وإلهنا يسوع المسيح، إلهٍ حقٍ، الذي به كان كلُ شيء، ما يُرَى وما لا يُرَى، الذي الكل به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان (يو 1: 3)، "الذي هو قبلَ كلِ شيء وفيه يقومُ الكل" (كو 1: 17)، "هذا كان في البدء عند الله" (يو 1: 2) وبعد ذلك، كما يقول الكتاب "تراءى على الأرض وتردد بين البشر" (باروخ 3: 38)، "الذي إذ كان في صورة الله لم يحسب خُلْسَةً أن يكونَ معادلاً لله لكنه أخلى نفسه آخذًا صورةَ عبد، وبميلاده من العذراء مريم، صار في شبه الناس وإذ وجِدَ في الهيئة كإنسانٍ وضع نفسَه وأطاع حتى الموت موت الصليب" (في 2: 6-8) وأكملَ، كوصية الآب، كلَ ما هو مشارٌ إليه أو مكتوبٌ عنه في الكتب المقدسة. ونؤمنُ أنه قام من بين الأمواتِ في اليوم الثالث كما في الكتب وأنه أَظهرَ ذاتَه لتلاميذه القديسين

ولباقي الرسل كما هو مكتوبٌ. وصعد إلى السماوات وجلس عن يمين أبيه وأيضًا يأتي في نهاية العالم ويقيمُ جميعَ البشرِ ويجازي كلَ واحدٍ حسب أعمالِه. حينئذ يمضي الأبرارُ إلى الحياة الأبدية وملكوت السماوات، ويُدان الخطاة دينونةً أبديةً، "حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ" (مر 9: 44، 46، 48).

الروحِ القُدُسِ المعزي، بنعمته خُتِمْنَا ليوم الفداء

نؤمن بالروحِ القُدُسِ واحدٍ وحيدٍ، الروحِ المعزي، الذي بنعمته خُتِمْنَا ليوم الفداء (أف 4: 30). روحِ الحق (يو 14: 17)، روحِ التبني الذي به ننادي بجرأةٍ "يا أبا[1] الآب" (رو 8: 15). هذا الروح يَقْسِمُ ويعملُ، كما يشاء، مواهبَه التي تأتي من الله إلى كلِ واحدٍ من أجل نفعه (1 كو 12: 11). فهو يُعَلِّمُنَا ويُذَكِّرُنَا ما يسمعه هو من الاِبنِ (يو 14: 26). فهو إذن روحٌ صالحٌ، يقودُ إلى كل الحق (يو 16: 13) ويُعَضِّدُ كلَ المؤمنين به حتى تكونَ لهم معرفةٌ أكيدةٌ واعترافُ إيمان دقيقٌ وعبادةٌ تقويةٌ وسجودٌ بالروحِ والحقِ لله الآب (يو 4: 23) ولاِبنه الوحيد ربنا وإلهنا يسوع المسيح وللروح نفسه.

الخواص المميزة للثالوث القدوس

فكلُ اسمٍ من هذه الأسماء (الآب والاِبن والروح القدس) يوضح لنا الخاصيةَ المميزة لكلِ مُسَمًّى، ففي كلِ اسمٍ نرى بعين التقوى، بعضَ الصفات الخاصة به. فعندما نقول "الآب" فإننا نقصد خاصية "الأبوة" (أصل الوجود) وعندما نقول: "الاِبن" فإننا نقصد خاصية "البنوة" (العقل) وعندما نقول "الروح القدس" فإننا نقصد خاصية "الحياة". فلا الروحُ يستطيع أن يتكلمَ من ذاته ولا الاِبنُ يستطيع أن يعملَ شيئًا من ذاته والآبُ يرسل الاِبنَ، والاِبنُ يرسل الروح القدس.

هكذا نؤمن وهكذا نُعَمِّدُ باسم الثالوث المتساوي في الجوهر، حسب الوصية التي أعطاها ربنا يسوع المسيح نفسه عندما قال: "اذْهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والاِبن والروح القدس وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به" (مت 28: 19-20). فنحن نحفظ هذا الإيمان (هذه الوصية) مظهرين محبتنا نحوه لنكون مستحقين "أن نثبت فيه" كما يقول الكتاب. لأننا **إن كنا لا نحفظ**

---

[1] كلمة "أبا" (ἀββᾶς) أرامية الأصلِ (سريانية) بمعنى "أَبّ" ولا توجد في العهد القديم في العبرية ولا في الترجمة السبعينية. وقد اِستخدمها اليهودُ والمسيحيون الأوائل في مخاطبة الله، ثم اسْتُخْدِمَتْ بعد ذلك في الشرق كلقب للأساقفة والبطاركة. وقد خاطب الربُ يسوعُ الآبَ بهذا اللقب في صلواته (مت 11: 25-26، 26 :29 و42، لو 10: 21، 22: 42، 33: 34، يو 11: 41، 12: 27، 17: 24 و25 وقد نُقِلَتْ إلى العربية مترجمةً إلى: "أيها الآب" أو "يا أبتاه"، كما تُسْتَخْدَمُ بلفظها مع ترجمتها في صورة توكيد (مرقس 14: 36، غل 4: 6). ولم يَكن مسموحًا للخَدَمِ أو العبيد باستخدام هذا اللفظ في مخاطبتهم لرب البيت. وهذه المناداة هنا "يا أبا الآب" تعني "أيها الآب أبانا" أو "يا أبانا الآب".

هذا الإيمان نُظْهِرُ أنفسنا أننا لسنا مستحقين "أن نثبت فيه". لأن الرب يقول: "الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني، والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي"، ويقول أيضًا: "إن أحبني أحدٌ يحفظ كلامي" (يو 14: 21، 23).

المحبة والتقوى في صحبة المعرفة

5. إنني أتعجب كثيرًا، لأن الرب قال: "لا تفرحوا بهذا أن الأرواح تخضع لكم بل افرحوا بالحري أن أسماءكم كُتبت في السماوات" (لو 10: 20) وقال أيضًا: "بهذا يعرف الجميع أنكم تلاميذي إن كان لكم حبٌ بعضًا لبعض" (يو 13: 25) والرسول بولس يؤكد على ضرورة المحبة قائلاً: "إن كنت أتكلم بألسنة الناس والملائكة ولكن ليس لي محبة فقد صرت نحاسًا يطن أو صنجا يرن، وإن كانت لي نبوةٌ وأعلم جميع الأسرار وكلُ علمٍ، وإن كان لي كلُ الإيمان حتى أنقلَ الجبال ولكن ليس لي محبة فلست شيئًا" (1 كو 13: 1، 2) "وأما النبوات فستبطل، والألسنة فستنتهي، والعلم فسيبطل، أما الآن فيثبت الإيمان والرجاء والمحبة، هذه الثلاثة ولكن أعظمهن المحبة" (1 كو 13: 8، 13). أعلن لكم صراحةً تعجبي من الذين يُظْهِرون غيرةً كثيرةً لأجل الأمور الفانية، أما الأمور الباقية وخصوصًا المحبة، التي هي أهمُ كلِ الفضائل والتي تميز الإنسانَ المسيحي، ليس فقط لا يهتمون بل يقاومون الذين لهم غيرةٌ مُكملينَ قول الرب: "ويل لكم أيها الفريسيون المراؤون لأنكم تغلقون ملكوت السماوات قدام الناس فلا تدخلون أنتم ولا تدعون الأخرين يدخلون" (مت 23: 14).

من أجل هذا أطلبُ إليكم وأرجوكم أن تكفوا عن البحث المتطفل (الغريب) ومماحكاتِ الكلام غير اللائقة وأن تكتفوا بكلماتِ الآباء القديسين وكلماتِ الرب نفسه، وأن تفتكروا في الأمور التي تستحق الدعوة السماوية، وأن تعيشوا كما يحق لإنجيل المسيح لأجل رجاء الحياة الأبدية وملكوت السماوات التي أُعِدَّتْ لكل الذين يحفظون وصايا الله الآب بالروحِ والحقِ، الوصايا المحفوظة في إنجيل ربنا وإلهنا يسوع المسيح.

فتقواكم، أيها الإخوة، تُذَكِّرُنَا بأن نضمَ هذا الموضوع إلى الموضوعات الأخرى وأن نعرض أفكارنا لكم ولكل إخوتنا في المسيح حتى تثبتوا أنتم وهم في اسم ربنا يسوع المسيح. وبعد هذا رأينا أنه من الضروري ألا يضطربَ البعضُ لأننا تعرضنا لكل هذه الأمور عينها في مناسباتٍ أخرى وبطرقٍ أخرى إذ اِضطررنا في تلك الحالات أن نتصدى، في كلِ مرةٍ، لأفكار أعداء الحق الدخيلة على الإيمان. لأنه لا يجب ألا يضطرب البعضُ من عداوةِ هؤلاء الذين يريدون أن ينسبوا إلينا تعاليمَ غريبةً أو يشيروا كذبًا إلى أمراضهم كأنها أمراضُنا، بهدف أن يجذبوا إليهم أصحاب الإيمان البسيط. مِنْ مثل هؤلاء أقول لكم أن تحترزوا لأنهم غرباء عن المحبة الإنجيلية والإيمان الرسولي ولتتذكروا قول

الرسول: "إن بشرناكم نحن أو ملاكٌ من السماء بغير ما بشرناكم فليكن أناثيما" (غلا 1: 8)، حتى نحفظ وصايا الرب: "تحرزوا لأنفسكم من الأنبياء الكذبة" (مت 7: 15) "وتجنبوا كل أخٍ يسلك بلا ترتيب وليس حسب التعليم الذي أخذه منّا" (2 تس 3: 6) ولْنَسِرْ كما سار القديسون كأننا "مبنيون على أساس الرسل والأنبياء ويسوع المسيح نفسهِ حجر الزاوية، الذي فيه كل البناء مُرَكبًا معًا ينمو هيكلاً مقدسًا في الرب" (أف 2: 20، 21)، "وإلهُ السلام نفسه يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحُكم ونفسُكم وجسدُكم كاملة بلا لوم عند مجيء ربنا يسوع المسيح" (1 تس 5: 23-24). أمينٌ هو الذي يدعوكم الذي سيفعل ما وعدكم به إذا حفظتم وصاياه بنعمة المسيح في الروح القدس.

6. بعد أن قلنا لكم بطريقة كافية ما يخص الإيمان الصحيح سوف نحاول من الآن أن نكمل باسم ربنا يسوع المسيح ما وعدتكم به عن الأخلاقيات. فكل ما نجده في العهد الجديد، سواء ممنوع أو مسموح به، هذا حاولنا قدر المستطاع أن نجمعه في مصطلحات دقيقة لكي يكون متاحًا للذين يريدون أن يدرسوه.

2

عظة أخرى عن الإيمان

لنمجد الله ونتأمل فيه فنعطش إلى معرفته أكثر

1. تَذَكُّرَ الله دائمًا بالنسبةِ للنفسِ المُحَبَّةِ له أمرٌ تقويٌ وليس له شبعٌ. أما وصفُ الله فهذا أمرٌ لا يجرئ عليه نطقٌ. لأن الفكرَ دائمًا ما يخرج عن دائرة القيمة الحقيقية للأمور والكلامَ كثيرًا ما يعجز عن أن يصفَ بوضوحٍ ما يتعلق بالله. فلو أن تفكيرنا (فكرنا) لم يَكن في وزنِ الأمور كما يجب والقولَ (الكلام) أقلُ من التفكير، كيف لا يجب أن نصمت حتى لا يُظَنَ أنه بسبب عجزِ الكلام تمثلُ معجزةُ اللاهوت خطرًا؟ فرغم أنه توجد في كل الكائنات الحية (العاقلة)، بالطبيعة، رغبةٌ لتمجيد الله، إلا أنهم كلهم يعجزون عن أن يتكلموا عن الله بما يليق وكلٌ منهم يختلف عن الآخر في درجة التقوى **ولا يخدع أحدَ نفسه، فيظنَ أنه قد بلغ إلى أقصى حدود الإدراك (الفهم)**. ولكن كلما ظن أنه ينمو في المعرفة يشعر بعجزه، كما فعل إبراهيم وموسى اللذان عندما أبصرا الله، قدر ما يحتملُ الإنسانُ، اِتضع كلٌ منهما أكثرَ.

رؤية إبراهيم وموسى لله وهبتهما روح التواضع

إبراهيم قال عن نفسه إنه: "تراب ورماد" (تك 18: 27) وموسى قال: "استمعْ أيها السيدُ لستُ أنا صاحبُ كلامٍ منذ أمسَ ولا أولَ من أمسٍ ولا من حين كَلَّمْتَ عبدَك بل أنا ثقيلُ الفمِ واللسانِ" (خر 4: 10). لأن (موسى) أدرك عجزَ اللغةِ إذ لم تستطعْ أن تسعفَه في إدراكِ المعاني السامية. وبما أن كُلَّكُم آذانٌ صاغيةٌ الآن لسماعِ التعليم اللاهوتي الذي لا يَشْبَعُ من سماعه إنسانٌ وهذا ما يؤكده الجامعة: "كل الكلام يقصر لا يستطيع الإنسان أن يخبر بالكل، العين لا تشبع من النظر، والأذن لا تمتلئ من السمع" (جا 1: 8)، **فمن الضروري أن نتكلمَ ليس كما يجدرُ بالله، بل قدر ما نستطيع نحن (أن نُعَبِّرَ عنه)**. لأنه عندما لا نستطيع أن نخترقَ، بالعين المجردة، الفضاءَ الموجودَ بين السماء والأرض هذا لا يعني أننا نتوقف عن ملاحظته قدر ما نستطيع. هكذا نحن الآن بأقوالٍ بسيطةٍ (متواضعة) سوف نوفي ديننا نحو التقوى وسوف نسمح لعظمة الطبيعة أن تتفوق على كل قولٍ. لأنه ولا ألسنة الملائكة، أيًا كانت ولا ألسنة رؤساء الملائكة، بعد أن تتفق (تتفاهم) مع كل الطبيعة العاقلة، تستطيع أن تصلَ إلى أقلِ جزءٍ إلا إذا تساوت مع الكل. هكذا أنتَ، أيها الإنسان، **إذا أردتَ أن تقولَ أو تسمعَ شيئًا عن الله، فعليك أن تهجرَ جسدك، وتتركَ أحاسيسك الجسدية، وتتركَ الأرضَ والبحرَ، وتحلقَ في الهواء، وتحتقرَ العصورَ وسلطة الأزمنة وزينة الأرضِ، وترتفعَ فوق الأثيرِ، وتخترقَ**

النجومَ العجيبة وما حولها وحدودَها ونظامَ الكونِ ولمعانَه ومكانَه وحركتَه وعلاقتَه وأبعاده.

بعد أن تخترقَ كلَ هذا بالمنطقِ وتتخطى السماوات وتوجدَ فوقَها، عليك أن تلاحظَ فقط بالفكرِ الجمالَ الموجودَ هناك والقواتِ السمائية والطغماتِ الملائكية ومناظرَ رؤساءِ الملائكة ومجدَ الربوبياتِ ورئاساتِ العروشِ والقواتِ والرئاساتِ والسلطاتِ[1]. فبعد أن تقطعَ الكونَ بحثًا وتطلَ بأفكارك على كل الكون وترفعَ عقلك فوق كل هذا عليك أن تدركَ أن **الطبيعة الإلهية: ثابتةٌ، غيرُ متحولةٍ، غيرُ متغيرةٍ، غيرُ فاترةِ الشعور، بسيطةٌ، غيرُ مركبةٍ، غيرُ منقسمةٍ، نورٌ لا يُدْنى منه، قوةٌ لا تُوصف، حجمٌ غيرُ محدود، مجدٌ مرعدٌ، صلاحٌ مستحقٌ للرغبة فيه، جمالٌ فائقٌ يَشْفِي النفسَ العليلةَ ولكن لا يصفه كلامٌ كما يستحق.**

وحدانية الثالوث القدوس

2. هناك يوجد الآبُ والإبنُ والروحُ القدس، الطبيعةُ غير المخلوقة، عرشُ السيد (الرب) والصلاحُ الطبيعي. الآبُ الذي هو أصلُ كل شيءٍ وعلةُ وجودِ كل الموجودات، هو أصلُ الكائنات الحية ونبعُ الحياة والحكمةُ والقوةُ. أما الإبنُ فهو صورةُ اللهِ غيرِ المنظورِ (كو 1: 15) المولودُ من الآب، الكلمةُ الحي، الذي كان عند الله. وهذا الكلمةُ كان موجودًا قبلَ كلِ الدهور ولم يحدث له نشوءٌ. فهو:

اِبنٌ وليس مُتَبَنًّى،

خالقٌ وليس مخلوقًا،

صانعٌ وليس مصنوعًا (جابلٌ وليس جبلةً)

وله كلُ ما للآب.

أطلب إليكم أن تنتبهوا إلى مثل هذه الصفات: الآب والإبن. فرغم أنه اِبنٌ، إلا أن له كلُ ما للآب طبقًا لكلام الرب نفسه الذي قال: "كل ما للآب هو لي" (يو 16: 15). فكل ما يوجد في الشكل الأصلي يوجد أيضا في الصورة. لأن الإنجيلي يقول: "والكلمة صار جسدًا وحل بيننا ورأينا مجده مجدًا كما لوحيدٍ من الآب مملوء نعمةً وحقًا" (يو 1: 14). أيّ أن المعجزاتِ التي اِجترحها لم تُعْطَ له

---

[1] يُلاحَظُ هنا أنها نفسُ أسماءِ الرتبِ السمائيةِ الواردة في القداس الباسيلي: "الذى يقف أمامه الملائكةُ ورؤساءُ الملائكة والرئاساتُ والسلطاتُ والكراسي والربوبياتُ والقواتُ". ولم يكن القديس باسيليوس هو الوحيد الذي أشار إلى أسماء هذه الطغمات بل كثيرٌ من الآباءِ والكُتابِ الكنسيين مثل ديونيسيوس الأريوباغى المنحول في كتابه "الرتب السمائية"، 3، 1 و3، 2 و 8، 1. انظر في ذلك:

De Caelesti Hierarchia, ed. G. Heil and A. M. Ritter, Corpus Dionysiacum II: Pseudo-Dionysius Areopagita, [Patristische Texte und Studien 36, Berlin: De Gruyter, 1991], pp. 7-59.

على سبيلِ هبةٍ أو عطيةٍ بل نتيجة الاتحاد الطبيعي للإبن مع ألوهية الآب. لأنه أن يأخذَ (يكتسبَ) إنسانٌ شيئًا فهذا صفةٌ عامةٌ في كل الخليقة، أما أن يكونَ عنده هذا الشيء (يملك شيئًا) بالطبيعة فهذا خاصيةُ المولود. **فالمسيحُ كابنٍ له بالطبيعة كلُ ما للآب، أما كوحيدِ الجنسِ (مونوجينيس)[1] فله كلُ شيء فيٍ ذاته، دون أن يشاركَ أحدًا في شيء. فمن تسمية الإبن بهذا الاسم نعلم أنه يشترك في طبيعة الآب. لم يُخلقْ بأمرٍ بل يشع نورًا من الجوهر دون توقف.** فالإبنُ:

متحدٌ مع الآبِ إلى الأبد،

ومساوي له في الصلاحِ والقوةِ،

ومشتَرِكٌ معه في مجده.

لأنه أن يُظْهِرَ في ذاته كلَ ما للآب، فماذا يكون إذن إلا صورةَ الآبِ؟ فكلُ ما قاله المسيحُ عن الطبيعة البشرية مشيرًا إلى تدبير خلاص البشر، تلك الطبيعة التي أخذها إذ ظهر فيها جسديًا وكلُ ما يقوله عن أنه أُرْسِلَ وأنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا من ذاته وأنه أخذ وصيةً من الآب وما شابه ذلك، كلُ هذا لا يقلل من ألوهية الإبنِ الوحيدِ الجنسِ (المونوجينيس). لأن **نزوله إلى ضعفنا لا يقلل من مجده القوى. فيجب أن تَعْقِلَ الطبيعة كما يليق بالله، وأن تَقْبَلَ الكلمات المتواضعة كما يليق بتدبير التجسد.** الأمر الذي سيتحول إلى مناقشاتٍ لا تنتهي إذا أردنا أن نتكلم فيها بالتفصيل.

---

[1] "مونوجينيس" μονογενής كلمة يونانية الأصل مكونة من مقطعين، الأول μόνον بمعنى "وحيد أو فقط" والمقطع الآخر هو γένος بمعنى "جنس أو نوع" والمقطعان معا في كلمة "مونوجينيس" يعنيان (وحيد الجنس أو وحيد النوع). وتذكر كلمة "وحيد" تسع مرات في العهد الجديد ويقصد بها أنه ليس هناك سواه. والمرات التسع هي: "اِبن وحيد لأمه" (لو 7: 12)، "كان له بنت وحيدة" (لو 18: 42)، "انظر إلى اِبني فإنه وحيد لي" (لو 9: 38)، "قدم الذي قبل فيه المواعيد وحيده" (عب 11: 17). أما الخمس مرات الأخرى فترد متصلة بأداة التعريف "ال" وجميعها تصف الرب يسوع: "ابن الله الوحيد" (يو 1: 14، يو 4: 9) والتوكيد هنا ينصب على أنه "فريد من نوعه أو وحيد من جنسه أو فذ ولا مثيل له ولا نظير"، فهو "اِبن الله" بمعنى أنه لا يشاركه فيه أحد. وأفضل كلمة إنجليزية يمكن أن تعبر عن كلمة "مونوجينيس" هي كلمة unique. فهو وصف للعلاقة الفريدة بين الإبن والآب في طبيعته الإلهية. وهذا الوصف لعلاقة المسيح الفريدة بالآب، يتضمن أمرين: أولا: أنه يعلن الآب لأن "الله لم يره أحد قط. الإبن الوحيد هو حضن الآب هو خَبر" (يو 1: 18) وهكذا رأى الناس "مجده مجدا كما لوحيد من الآب (يو 1: 14)، ثانيا: أنه وسيط الخلاص: "الله قد أرسل اِبنه الوحيد إلى العالم لكي نحيا به" (1 يو 4: 9)، "والذي لا يؤمن (به) قد دين لأنه لم يؤمن باسم اِبن الله الوحيد" (يو 3: 18). ويمكن اِستخلاص جوانب تفرده الأخرى من فصول أخرى، مثل خلوه من كل خطية وسلطانه على مغفرة الخطايا وصلته المستمرة الدائمة مع الآب ومعرفته الفريدة بالآب، لأنه "والآب واحد" (يو 10: 30).

الروح القدس واحد مع الآب والابن

3. فلْنَعُدْ إلى موضوعنا. فالفكرُ الذي استطاع أن يتطهرَ من كل الشهوات المادية وهَجَرَ كلَ الخليقة العقلية، وكسمكةٍ تصعدُ من العمق إلى سطح البحر بعد أن تصلَ إلى أطهرِ جزءٍ من الخليقة، هذا الفكرُ سوف يرى الروحَ القدسَ، هناك حيث الآبُ والإبنُ. **فالروحُ القدسُ له كل ما للآبِ والإبنِ بالطبيعة إذ أنهم متحدون في الصلاح والاستقامة والتقديس والحياة.** لأنه يقول: "علمني أن أعمل رضاك لأنك أنت إلهي، روحك الصالح فليهدني في أرض مستوية" (مز 142: 10). والرسول يقول: "روحًا مستقيمًا جددْ في أحشائي" (مز 50: 12). وأيضا يقول: "روحك القدوس لا تنزعه مني" (مز 50: 13)، والرسول يقول: "لأن ناموس روح الحياة" (رو 8: 2). فلا شيء من كل هذا مكتسبٌ، ولا شيء كان يشاركه الوجودَ ثم أُضِيفَ بعد ذلك. فكما أن الحرارةَ لا تنفصل عن النار ولا الضياءَ عن النور، هكذا التقديسُ والقوةُ المحيية والصلاحُ والاستقامةُ لا تنفصل عن الروح القدس. فهناك يوجد الروحُ، هناك في الطبيعة الطوباوية (لا يعد مع أشياء كثيرة، بل) مع الثالوث القدوس.

فالروحُ:

لا تُحِدُهُ أنظمةٌ،

بل يُعْلَنُ بطريقةٍ فريدة.

لأنه كما أن الآبَ واحدٌ والإبنَ واحدٌ هكذا الروحُ القدس واحدٌ. فكلُ رتبةٍ من الأرواح (العاملة) الخادمة تُعْلِنُ لنا سرًا جمعًا لا يُحْصَى. فلا تطلبْ أنتَ إذن في الطبيعةِ ما هو وراءَ الطبيعةِ ولا تُنْزِلْ ذاك الذي يُقَدِّسُ إلى مكانة مَنْ يَتَقَدَّسُ.

فالروحُ يملأ الملائكة ورؤساء الملائكة، ويُقَدِّسُ القواتِ، ويمنحُ حياةً للعالم، وتتقاسمه كلُ الخليقة وبطريقةٍ مختلفةٍ يشتركُ فيه كلُ أحدٍ، ولا ينقص شيئًا بسبب اِشتراكِ الجميعِ فيه، ويمنحُ الكلَ نعمتَه، ولا يُسْتَهْلَكُ من أولئك الذين يشتركون فيه بل حتى أولئك الذين نالوه امتلئوا منه وهو نفسه لم ينقصْ شيئًا.

عمل الروح القدس

كما أن الشمسَ تشرقُ على كلِ الأجساد وبطريقةٍ متنوعةٍ يشتركُ فيها كلُ جسدٍ دون أن تَنْقُصَ شيئًا هكذا الروحُ القدسُ:

يمنحُ الكلَ نعمتَه دون أن يَنْقُصَ أو يَفْنَى،

ينيرُ الجميعَ بمعرفةِ الله،

يوحي إلى الأنبياء،

يَحَكّمُ المشرعين،

يكَمِّلُ الكهنة،

يقوي الملوك،

يقودُ الأبرارَ،

يعطي وقارًا للنساك،

يَشْفِي المرضى،

يمنحُ حياةً للأموات،

يحررُ المسببين،

يجعلُ الراجعين إليه أبناء،

ويعملُ كلَ هذا من خلال الولادة الجديدة.

فهو الذي جعلَ:

العشارَ المؤمنَ به إنجيليًا،

والصيادَ لاهوتيًا،

والمُضطهِدَ (بولس) رسولاً للأمم وكارزًا للإيمان وإناءً مختارًا.

بالروح يصيرُ الضعفاءُ أقوياءَ، والفقراءُ أغنياءَ، والجهالُ أحكمَ من الحكماء.

فرغم أن بولس كان عليلاً إلا أنه بحضورِ الروحِ القدسِ كانت مناديلُه وعصائبُه تشفي مَنْ تُوضع عليهم. وبطرس هو الآخر وإن كان محاطًا بضعفِ الجسدِ، إلاّ أنه بنعمةِ الروحِ القدسِ الساكنِ فيه، كان ظلُه يشفى المعذبين من الأرواح الشريرة. فبطرس ويوحنا الفقيران، اللذان لم يَكن لهما ذهبٌ ولا فضةٌ، كانا يمنحان الصحة التي هي أثمنُ من الذهب. لأن الأعرجَ، رغم أنه أخذ من كثيرين مالاً كثيرًا، بقي كما هو فقيرًا. ولكنه عندما نال من الرسولين نعمةً كَفَّ عن طلب الصدقة وأخذ يقفز مثل الغزال ممجدًا الله. ويوحنا الذي لم يَكن يعرف الحكمةَ العالميةً قال بقوة الروح القدس كلامًا لم تستطعْ أيةِ حكمةٍ بشريةٍ أن تناقضه. فهذا الروحُ الذي كان في السماء، كان يملأ الأرض أيضًا،

حاضرٌ في كل مكان، ولا يحويه مكانٌ،

يسكن في كلِ أحدٍ ولكنه بأكمله مع الله،

يخدمُ المواهبَ الروحيةَ ولكنه هو الذي يوزعها.

لأن "هذه كلها يعملها الروحُ الواحدُ بعينه، قاسمًا لكل واحدٍ بمفرده كما يشاء" (1 كور 12: 11)، فالروحُ يرسله الآبُ (باسم المسيحِ) ولكنه يعملُ بحرية (بسلطة ذاتية مطلقة).

فلنُصَلِّ إذن أن يحلَ هذا الروحُ في نفوسنا وألاّ يتركنا أبدًا بنعمة الرب يسوع المسيح الذي له الملك والقدرة والمجد إلى أبد الدهر آمين.





Queen Mary & Prince Tadros
Coptic Orthodox Church

283 DAVIDSONS MILL ROAD
SOUTH BRUNSWICK, NJ 08831

St. George Coptic Orthodox
Sporting - Alex. - Egypt